خطبة صلاة الجمعة 25/2/2021 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(عون الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: 21].

وقال سبحانه مخاطباً نبيه محمداً ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: 4].

أخرج الإمام الترمذي عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكم إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِني مَجْلِساً يَوْمَ القِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُم أخلاقاً**».

وأخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول اللهِ ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ صَالِحَ الْأَخْلَاقِ**» وفي رواية البزار «**مكارم الأخلاق**».

هذه الخطبة الحادية والعشرون في سلسلة من الخطب تناسب الزمان والاحتياج عنوانها: (أخلاق النبي ﷺ، وكيف نتحلّى بها).

وعنوان خطبة اليوم:

عون الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به

أيها الإخوة:

سبق أن الخُلق هو اسم لصورة الإنسان الباطنة، كما أن الخِلْقة اسم لصورته الظاهرة. (لسان العرب).

والأخلاق تكون فطرية وتكون مكتسبة، فمن فطره الله على خلق حسن فليحمد الله ومن لم يجده في نفسه فليتدرب على اكتسابه، وهذا الواجب العملي الأهم على مستمع هذه السلسلة.

أيها الإخوة:

إذا أحسَّ النَّمل بالخطر، حمل على أكتافه الصِّغارَ والمرضى والعجزة، وما يدّخرُه من قوت، وإذا عَجَزَت نملةٌ على المسير حَمَلَتها أخرى على ظهرها، وإذا أُصيبت نملةٌ بمكروه أسرعت الأُخرى إلى مساعدتها، ويتعاون الجميع في إعداد البيت، وحفظ الطَّعام في جَلَد وصبر ومثابرة.

فالتَّعاون رحمة من الله، وهو مخازن الأخلاق، يسهلُ الصَّعب وييسر العسير، ويلمُّ الشَّمل، ويوحِّد الصُّفوف، ويسدُّ الثُّغور التي يتسلَّل من خلالها اليأس، وقديماً قالوا: "لا يُغلَب قومٌ إذا تعاونوا".

وإذا كان حديث اليوم عن عون الآخرين عند النبي ﷺ وكيف نتحلى به، فإليكم هذه المواقف من السنة المطهرة.

1-أخرج الإمام أحمد في مسنده: شغل سلمانَ الرقُّ حتى فاته مع رسول الله ﷺ بدر وأحد، قال: ثم قال لي رسول الله ﷺ: " كاتب يا سلمان"، فكاتبت صاحبي على ثلاث مائة نخلة أحييها له بالفقير (أي أغرسها له في حفرها)، وبأربعين أوقية، فقال رسول الله ﷺ لأصحابه: **"أعينوا أخاكم"** فأعانوني بالنخل؛ الرجل بثلاثين وَدِيَّة (صغار النخل)، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر، حتى اجتمعت لي ثلاث مائة ودية، فقال لي رسول الله ﷺ: **"اذهب يا سلمان ففَقِّر لها"** (احفر لها حفرها)، فإذا فرغت فأتني أكون أنا أضعها بيدي" قال: ففقَّرْت لها، وأعانني أصحابي، حتى إذا فرغت منها جئته فأخبرته، فخرج رسول الله ﷺ معي إليها فجعلنا نقرب له الوَدِيّ ويضعه رسول الله ﷺ بيده، فوالذي نفس سلمان بيده، ما ماتت منها ودية واحدة، فأديت النخل، وبقي علي المال، فأتي رسول الله ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب من بعض المغازي، فقال: **"ما فعل الفارسي المكاتَب؟"** قال: فدعيت له، فقال: **"خذ هذه فأدِّ بها ما عليك يا سلمان"** فقلت: وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي؟ قال: **"خذها، فإن الله سيؤدي بها عنك"** قال: فأخذتها فوزنت لهم منها، والذي نفس سلمان بيده، أربعين أوقية، فأوفيتهم حقهم، وعُتِقْتُ، فشهدت مع رسول الله ﷺ الخندق، ثم لم يفتني معه مشهد.

إنها صورة من صور عون النبي ﷺ الآخرين، ودعوته أصحابه لعون الآخرين.

2-وأخرج النسائي في سننه والبيهقي في شعب الإيمان عن أبي ذَرٍّ رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «**عَلَى كُلِّ نَفْسٍ كُلَّ يَوْمٍ طَلَعَتْ فِيهِ الشَّمْسُ صَدَقَةٌ مِنْهُ عَلَى نَفْسِهِ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مِنْ أَيْنَ نَتَصَدَّقُ وَلَيْسَ لَنَا أَمْوَالٌ؟ قَالَ: «**إِنَّ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ التَّكْبِيرُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ، وَلا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَتَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَعْزِلُ الشَّوْكَةَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ وَالْعَظْمَ وَالْحَجَرَ، وَتَهْدِي الأَعْمَى، وَتُسْمِعُ الأَصَمَّ وَالأَبْكَمَ حَتَّى يَفْقَهَ، وَتُدِلُّ الْمُسْتَدِلَّ عَلَى حَاجَةٍ لَهُ قَدْ عَلِمْتَ مَكَانَهَا، وَتَرْفَعُ بِشِدَّةِ ذِرَاعَيْكَ مَعَ الضَّعِيفِ، وَتَسْعَى بِشِدَّةِ سَاقَيْكَ إِلَى اللَّهْفَانِ الْمُسْتَغِيثِ، كُلُّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الصَّدَقَةِ مِنْكَ عَلَى نَفْسِكَ**».

إنها صورة من صور دعوة النبي ﷺ أمته لعون الآخرين بصورٍ متنوعة للعون.

3- وأخرج الإمام البخاري عن أبي موسى قال: قال النبيُّ ﷺ: "**إنَّ الأشعَرِيّينَ إذا أرْمَلوا** (ذهب زادهم ونفد) **في الغَزْوِ، أو قلَّ طعامُ عيالِهم بالمدينةِ، جَمَعوا ما كانَ عندهم في ثوبٍ واحدٍ، ثم اقتَسَموهُ بينَهُم في إناءٍ واحدٍ بالسَّويَّةِ، فهُم مني، وأنا منهُم**" فهذا ثناء رسول الله ﷺ على الأشعريين لأنهم يتعاونون ويبذل كل منهم العون لأخيه، وقد قال فيهم ﷺ: "الأشعريون في الناس كصرة فيها مسك" (ابن سعد في الطبقات).

والحاصل أن عون الآخرين خُلُقُ النبي ﷺ، وهو معروف به، والمتوقع أن يكون عونُ الناس خلقَك، وأن تكون معروفاً بذلك.

احترقت دكان نتيجة ماس كهربائي فأتى الحريق على أثاثها وكسوتها وبضائعها وأدواتها، حزن صاحبها حزناً شديداً إذ لا يملك ما يصلحها به، غير أن جواره وأقاربه لم يدعوه وحيداً، فقدّم هذا مليوناً وقدّم هذا خمسمائة ألف وقدم هذا مليونين، وخلال أسابيعَ قليلة عادت الدكان خيراً مما كانت عليه وعادت البسمة لوجه صاحبها وملأ الامتنانُ والشكر لجواره قلبه.

إنّ عون الآخرين يُمَتِّنُ أواصر المجتمع ويقوي لحمته ويرضي رب العالمين، "لا يُغلَب قومٌ إذا تعاونوا".

لولا التَّعاون بين النَّاس ما شَرفت نفسٌ ولا ازدهرت أرضٌ بعمران

مات أب وترك أربعة أطفالٍ صغارٍ -ذكرين وأنثيين- وأمَّهم من غير إرثٍ ولا دَخْلٍ شهري، إلا الدارَ التي يسكنون، توافق إخوة المتوفى وأصهارُه أنهم سيتعاونون عل حمل هذا البيت كما يحملون بيوتهم، كلٌّ منهم بالقدر الذي يستطيع، وفعلوا

اليوم تخرج الأولاد في الجامعة وبدؤوا يعملون وتزوجت البنتان زواجاً لائقاً، وملأ الامتنانُ والشكر لعائلتهم قلوبهم.

إن عون الآخرين يُمَتِّنُ أواصر المجتمع ويقوي لحمته ويرضي رب العالمين، "لا يُغلَب قومٌ إذا تعاونوا".

لولا التَّعاون بين النَّاس ما شَرُفت نفسٌ ولا ازدهرت أرضٌ بعمران

كان سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما معتكفاً في مسجد رسول الله ﷺ فأتاه رجل فسلَّم عليه ثم جلس، فقال له ابن عباس: يا فلان أراك مكتئباً حزيناً، قال: نعم يا ابن عم رسول الله لفلان عليَّ حق؛ وحُرْمةِ صاحب هذا القبر ما أقدر عليه، قال ابن عباس: أفلا أكلمه فيك؟ فقال: إن أحببت. قال: فانتعل ابن عباس ثم خرج من المسجد ساعياً إلى الرجل ليشفع عنده، فقيل: أنسيتَ ما كنت فيه -أي من الاعتكاف-؟ قال: لا، ولكني سمعت صاحب هذا القبر ﷺ والعهد به قريب – فدمعت عيناه – وهو يقول: **«من مشى في حاجة أخيه وبلَغ فيها كان خيراً له من اعتكاف عشر سنين، ومن اعتكف يوماً ابتغاء وجه الله تعالى جعل الله بينه وبين النار ثلاث خنادق أبعدَ مما بين الخافقين»**.

إن عون الآخرين يُمَتِّنُ أواصر المجتمع ويقوي لحمته ويرضي رب العالمين، "لا يُغلَب قومٌ إذا تعاونوا".

لولا التَّعاون بين النَّاس ما شَرفت نفسٌ ولا ازدهرت أرضٌ بعمران

أيها الإخوة:

مما يعين على التحلي بخلق عون الآخرين أمران: التفكيرُ بهم، وتصحيح النية في خدمتهم.

أما التفكير بهم: فمن فكّر في أمه كيف حملته وفي أبيه كيف أنشأه وفي أخيه كيف أعانه وفي جاره كيف صبر على بعض أخطائه وفي معلمه كيف بذل الوسع لتعليمه، وفي الفقير كيف يحيا وفي المريض المحتاج كيف يؤمن دواءه حمله هذا التفكير بالآخرين إلى عونهم استطاعته وإلى رد جميلهم جهده، ولكن من شغل وقته بالملهيات وملأ زمنه بالشهوات فكيف له أن يفكر بالآخرين فضلاً عن عونهم.

وأما تصحيح النية في خدمة الناس: ففائدتها أنك ربما يئست يوماً لأنك خدمت إنساناً ولم يشكرك أو أعنت رجلاً ولم يعنك أو نفذت طاقتك في المعونة، فإذا كانت نيتُك من عون العباد التقربَ إلى الله ببر عباده ورجوت ثوابه يوم معاده لم تيأس مما أنكروا لأن الله سيجزيك، ولم تقنط من كفرانهم لأن الله سيعطيك ولم تجزع من نفاد طاقتك لأن الله سيمدك ويغنيك.

فالتفكيرُ بالآخرين وتصحيح النية في خدمتهم معينان على عونهم.

أيها الإخوة: أكثروا من الصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ فإنه من صلى عليه صلى عليه ومن سلم عليه سلم عليه، وتدارسوا مع من حولكم حديثه ﷺ وأخلاقه، وسنته وسيرته، ليكون النبي حاضراً فينا وتكون سنته ماثلة بيننا.

﴿إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما﴾

والحمد لله رب العالمين